تأميم "الميفرما" في موريتانيا

في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٤ قررت الحكومة الموريتانية تأميم شركة الميفرما (شركة المعادن) ، وجاء هذا القرار بعد قرار خروج موريتانيا من دائرة الفرنك وخلق عملة وطنية موريتانية ، وشركة الميفرما هذه هي شركة أجنبية تساهم فيها عدة دول ، وتسيطر على القسم الاكبر منها الامبريالية الفرنسية . وهي تصدر نسبة ٨٠ بالمئة من الصادرات الوطنية الموريتانية ، وتمول سنويا مشاريع تبلغ قيمتها ضعف ما تموله الدولة الموريتانية . ومنذ بناءها الى الان قامت هذه الشركة بتصدير أكثر من ٨٠ مليون طن من حديد « كيديا ديجيل » الى البلدان الغربية الاوروبية واليابان . وهي تستخرج حاليا ١٢ مليون طن سنويا . وزبائن الميفرما الرئيسيين ، وهم أيضا المشاركين في رأسمالها ، هي شركات الصلب والصناعة الثقيلة الاوروبية مثل :

CORP , THYSSEN , ITALSIDER US INOR, BRITISH STEEL.

وقد كان وجود هذه الشركة في موريتانيا ، يمثل تحديا صارخا لاستقلال الشعب الموريتاني ، ولارادته وتطلعات طبقاته الكادحة وطليعته الثورية التي كان من أول مطالبها : تأميم شركة الميفرما . كان وجود هذه الشركة في موريتانيا صورة بشعة لما يمكن أن يبلغه نهم الامبريالية العالمية وتكالبها وأنانيتها ووحشيتها في امتصاص دماء الشعوب ونهب خيراتها وابتزاز طاقاتها . فمن ١٩٦٣ (أي في بداية استقلال مناجم الفحم الموريتانية) الى ١٩٧٣ تغير سعر الطن في السوق العالمي من ٩٫٤ دولار الى ٩٫٨ دولار (بل بلغ ٨٫٦ دولار في ١٩٦٩) ، أي انه ارتفع بنسبة ٥ بالمئة في غضون عشر سنوات ، في حين ارتفع سعر الصلب في فرنسا بنسبة ٧٠ بالمئة في نفس المدة .

وبعد هذه المعلومات الاولية ، نريد التطرق الى بحث الظروف الموضوعية التي جعلت ولد داداه يقرر تأميم هذه الشركة . لاننا نعرف جيدا من هو مختار ولد داداه ، ومصالح من يمثل . وابناء الشعب الموريتاني يعرفون جيدا الخط السياسي الذي سار وبسير عليه مختار ولد داداه وحكمه المقيت . فمختار ولد داداه هذا ، هو نفسه الذي صرح في ١٥ حزيران ١٩٦٣ عند تدشين منشآت الميفرما في زويرات قائلا : « ان الميفرما تعتبر رمز التعاون الامثل المطبق لمثلنا الاعلى الذي لن نتورع يوما عن تطويره » . ومختار ولد داداه نفسه هو الذي أمر في ٢٩ ماي ١٩٦٨ ، الجيش الموريتاني باطلاق النار على عمال الميفرما المضربين والمطالبين برفع الاجور والمنددين بالتمييز العنصري الذي تمارسه ادارة الشركة ، تجاههم . وفي ذلك اليوم رأى العمال الموريتانيون العشرات من رفاقهم يسقطون تحت رصاص الغدر وحكم مختار ولد داداه المقيت هو الذي ظل طيلة السنوات السابقة يمارس أبشع انواع القمع والتعذيب على المناضلين الموريتانيين ، طليعة الشعب الموريتاني الواعية ، مناضلي الحركة الوطنية الديمقراطية ، وحزب الكادحين الموريتاني ، والاتحاد العام للطلبة والمتدربين الموريتانيين ، والذين ضاقت بهم سجون ولد داداه : هؤلاء المناضلين الذين كان تأميم الميفرما من أول مطالبهم .

وبعد هذا ، فهل نعتبر قرار التأميم تغييرا جذريا ونقطة المنعرج في سياسة الحكم ؟ وهل هو تنكر نهائي بشع كرسته الحكومة الموريتانية في خدمة ذليلة للاستعمار والاستعمار الجديد والامبريالية ؟

نحن لا نعتقد ذلك .

فما هي اذا الاسباب التي أجبرت الحكومة الموريتانية على تأميم الشركة ؟ نرى سببين ، سبب داخلي وهو السبب الرئيسي ، وسبب خارجي وهو ذو أهمية ثانوية .

السبب الداخلي : منذ انتصاب هذه الشركة الاجنبية على أرض موريتانيا والشعب الموريتاني الذي سرعان ما فهم طبيعة « الاستقلال » الذي حدثوه عنه ، يطالب بتأميم هذه الشركة التي كانت تمثل تحديا صريحا لسيادته . وقد ناضل الشعب الموريتاني من أجل هذا المطلب فتطور النضال خاصة ابتداء من ١٩٦٨ حول شعارات تأميم الميفرما واستقلال الاستقلال المزيف ، الاستقلال المسخ الذي حصلت عليه موريتانيا في ١٩٦٠ باستقلال وطني حقيقي . وقد أدى هذا النضال المبارك الذي خاضته الجماهير الشعبية الموريتانية ، الى بعث الحركة الوطنية الديموقراطية . فقد شن عمال الميفرما ، وهم أبناء الشعب اطلاعا على حقيقة هذه الشركة الاجنبية ومعاناة من سلوكها ازاءهم ، تبعوا اضرابات عديدة ومتتالية كان أعنفها ، وأشدها صلابة ذلك الذي سيبقى نقطة مضيئة في تاريخ الشعب الموريتاني والحاصل في ٢٩ ماي ١٩٦٨ . ذلك اليوم الدموي الذي كانت « زويرات » مسرحه ، والذي أرسل فيه ولد داداه ، عون الميفرما الذليل جيشه ضد العمال المضربين والمطالبين برفع الاجور . وقد سقط اثر هذا الاضراب ٩٠ من العمال وجرح ٣٥٠ منهم وأوقف مئات اخرون .

* وفي ١٩٦٩ أضرب عمال « سماسر » على طريق دخرو — نواكشوط ، وفئات الاضرابات وتطورت خاصة خلال سنة ١٩٧٤ ، وبالتالي في الفترة التي سبقت الاعلان عن قرار التأميم .

* ففي نهاية سنة ١٩٧٣ نظم عمال ايمابك (شركة صيد وتصبير الاسماك) اضرابا أدى الى هبوط انتاج الشركة من ٥٦٠٠٠ علبة الى ٧٠٠٠ علبة .

* وفي بداية ٧٤ قام عمال شركة سوسيم ، بمدينة اروبرات بشن اضراب عن العمل محتجين على تأخر رواتبهم الشهرية وقد تمت تلبية مطالبهم .

* وفي نواكشوط نظم سائقو التاكسي اضرابا يوم ٧٤/٢/١٢ وتجمعوا امام مكتب المقاطعة منددين بالارتفاع الفاحش في أسعار المحروقات وقطع الغيار وطالبوا برفع سعر النقل .

* وفي نفس اليوم ، في « اطار » شن تلامذة الاعدادية ، اضرابا منددين بالقمع المعنوي والمادي المسلط عليهم من قبل الادارة . وفي ٢٧—٢—٧٤ نظموا مسيرة الى مركز المقاطعة احتجاجا على طرد اربعة من رفاقهم .

* وفي ١٨—٣—٧٤ ، في نواذيبو نظم عمال هوفريما البالغ عددهم ١٥٢ ، اضرابا تواصل ساعتين ، رافعين راية المطالب التالية : تعويض عن البرد : ٩٠٠ أوقية ، تعويض عن الاوساخ : ٧٠٠ أوقية ، واعادة أحد رفاقهم المطرودين .

* وفي نواكشوط في نهاية ابريل ٧٤ اضربت عاملات مركز النسيج مطالبات برفع اجرة نسج المتر وأمام ارادة العاملات الصلبة وقع تلبية مطلبهن .

* وفي بداية مايو ٧٤ ، وفي المذرذرة ، قامت حركة مطلبية واسعة نظمتها نساء القرية اللواتي ضمين الى الحاكم وطالبنه بتوفير الاغذية والادوية لازواجهن .

* وفي نواكشوط رفض عمال الاحواض تسلم اجورهم ، ومن يوم ١—٧—٧٤ حتى يوم ٨—٧—٧٤ احتجاجا على ارتفاع نسبة الضرائب المأخوذة على اجورهم .

ان هذا الزخم من النضال الشعبي والضغط الذي مارسه على الحكومة الرجعية ، هو السبب الاساسي الذي دفع الحكم الى اتخاذ قرار التأميم ومن قبله قرار الخروج من منطقة الفرنك ، وذلك للتنفيس على الغضب الشعبي العارم المتصاعد .

السبب الخارجي : لقد تقوت الطبقات السائدة في بلدان العالم الثالث ، في مواجهتها مع الامبريالية العالمية المهيمنة عليها ، كما تدعم وتعزز نضال الشعوب المضطهدة في مواجهة سيطرة الدول الامبريالية الكبرى من جهة ، ودكتاتورية الانظمة الذيلية لها في بلدان العالم الثالث ، من جهة اخرى . كما أن الضرورة الحيوية بالنسبة للامبريالية في الحصول على اليد العاملة والمواد الاولية التي يشكل العالم الثالث مخزنا لها ، قد دعم ووطد وحدة هذه البلدان في مواجهة السيطرة والهيمنة الامبريالية.

ان حركة التضامن هذه ، والتكتل المنظم الذي عرفته بلدان العالم الثالث والذي كان محصورا في نطاق محلي في البداية ، قد تطور على النطاق العالمي . وتجلت ملامح هذا التطور الجديد في انتخابات الامم المتحدة التي أصبحت الدول الامبريالية الكبرى تجد نفسها فيها أقلية في خندق واحد مقابل جيش جرار من البلدان الفقيرة والمتوسطة ، المتكتلة والمتحدة في وحدة فولادية . وفي ديسمبر (كانون الاول) الفارط انهم سفير الولايات المتحدة في الامم المتحدة بلدان العالم الثالث بانها تمارس أغلبية طاغية ! وقد رد عليه انذاك ممثل بلد من بلدان العالم الثالث ، ممثل الجزائر بقوله : « ان العالم قد تغير تغيرا عميقا عما كان عليه منذ عشرين سنة ، وانه على الدول الامبريالية الرضوخ لحكم التاريخ . والسير مع مجراه ، بدون حزن أو ندم على الماضي الذي لن يعود » . وهو يعبر بذلك عن ميزان القوى الجديد المبني على تضامن ووحدة بلدان العالم الثالث : هذا التضامن الذي جعل الطبقات السائدة في بلدان العالم الثالث تعي مصالحها المشتركة وتشعر بقوتها في مواجهة السيطرة الامبريالية وان تأميم الميفرما هي نتيجة لهذا التضامن والوحدة . فالمساندة المفتوحة من قبل البلدان العربية — وخاصة الجزائر — لم تترك لنواذبوا (التي لن تضحي بالبترول من أجل الحديد) أي مجال لرد عنيف ، على التأميم .

وقد شرح رئيس اللجنة المركزية لحزب الكادحين الموريتاني ، قرار التأميم بقوله : « قبل النظام أخيرا تأميم ميفرما لان شعبنا أراد ذلك بالحاح وناضل في سبيله وقدم أغلى التضحيات وذلك منذ السنوات الاولى لوجود هذا الشكل السافر من الاستعمار الجديد .ولم تستطع سلسلة « الاستقلالات » أن تثني عزمه أو تلفت نظره عن نهب ميفرما ومثيلاتها لثرواته ، وذلك بقيادة الحركة الوطنية الديموقراطية (حود) وحزب الكادحين الموريتاني (حكم) . لقد أصبح بقاء النظام منوطا بتأميم ميفرما فاقدم عليه . أضف الى ذلك أن تأميم مثيلات ميفرما لم يعد معجزة في عالم اليوم كما كان في الخمسينات . العالم كله أصبح يعترف بحق التأميم الذي ما يزال حزب الشعب ينكره حتى بعد تأميم ميفرما ، وأصبحت مؤخرة العالم الثالث من أمثال شاه ايران وموبوتو ، وفيصل تمارس هذا الحق على رؤوس الاشهاد بدون آية ضجة » .

ولا شك في أن الميفرما التي تشرف على ادارتها حاليا الشركة الوطنية الصناعية والمعدنية التي بعثت أخيرا ، ستلعب دورها في تكوين جبهة تضم البلدان المنتجة للحديد مثل استراليا والبرازيل وبلدان أمريكا اللاتينية وليبيريا .

ان تأميم الميفرما ككل نتائج حركة استرداد بلدان العالم الثالث لخيراتها هي ضربة للبلدان الامبريالية الكبرى .

الا أن هذا جانب واحد من المشكلة . اذ علينا أن نتساءل عن الطبقات التي ستستفيد من هذا التأميم لتدعيم نفوذها الاقتصادي والاجتماعي . وهنا ننقل ترجمة لوثيقة اساسية من وثائق الاتحاد العام للطلبة والمتدربين الموريتانيين نشرتها مجلة انفاس المغربية في ٧٣ ، ويظهر أن غالبية المنظمات السياسية والجماهيرية التقدمية الموريتانية متفقة عليها وخاصة الحركة الوطنية الديمقراطية ، وحزب الكادحين .

وهذا نص الترجمة :

« ان تحليلا شاملا ومكتملا للمجتمع الموريتاني ، يبرز وجود طبقات وفئات مستغلة ومضطهدة تكون في مجموعها غالبية الشعب ، تقابلها أقلية من المستغلين المضطهدين ، حلفاء الامبريالية العالمية والامبريالية الفرنسية على وجه الخصوص .

١ — البرجوازية السياسية — البيروقراطية : وهي تتكون اساسا من « المسؤولين » المركزيين في الدولة ، من كبار موظفي الادارة المركزية والجهوية ، من مسؤولي حزب « الشعب » الموريتاني (وزراء ، أمناء الوزارات ، مديرين ، ولاة ، الامناء الفيدراليين للحزب ، وكبار الموظفين المدنيين والعسكريين) . وقد عرفت هذه الطبقة تطورا سريعا منذ « الاستقلال » ، فاذا كانت في البداية ،متكونة خاصة من موظفين وأعوان رباهم الاستعمار لمتطلبات ادارته « وسلمهم » الحكم أيام « الاستقلال » ، فقد تمكنت بعد ذلك ، ولو بصفة جزئية ، من كسب غالبية الجامعيين المتخرجين الجدد .